المملكة العربية السعودية - الرياض طريق الملك فهد بين شارعي التلفزيون والخزان
ص.ب ٦٣٧٣ الرياض: ١١٤٤٢ ت: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠ فرع جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ ف: ٦٣٣٣١٩١
موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تعطيل الجوارح والقلب والعقل عن آيات اللَّه:

١ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (يقول تعالى ولقد ذرانا لجهنم خلقنا وجعلنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس أي هيَّأناهم لها وبعمل أهلها يعملون، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ورد في صحيح مسلم (٢٦٥٣) عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله قدر مقاير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»** وفي صحيح مسلم (٢٦٦٢) أيضاً من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه! فقال رسول الله ﷺ: **«أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم»** وفي الصحيحين خ (٣٢٠٨) م (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود: **«ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أو سعيد»**.

الغفلة عن الانتفاع بالعمر وخاصة إذا بلغ الستين ومخالفة الرسل:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾ [فاطر: ٣٦ـ٣٧].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان ما للأشقياء فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وثبت في صحيح مسلم (١٨٥) أن رسول الله ﷺ قال: **«أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون»** وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ ، ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ، ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ ثم قال تعالى ﴿كَذَلِكَ

نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق وقوله جلت عظمته: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي ينادون فيها يجأرون إلى الله ـ عز وجل ـ بأصواتهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول وقد علم الرب ـ جل جلاله ـ أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم كما قال تعالى مخبرا عنهم في قولهم ﴿فَهَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾، ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا﴾ أي لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ولو رُدِدْتُم لعدتم إلى ما نهيتم عنه ولذا قال ههنا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ أي أو ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لا نتفعتم به في مدة عمركم وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة. وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة فنعوذ بالله أن نغترَّ بطول العمر. قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ﴾ وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة وكذا قال أبو غالب الشيباني وقال عبدالله بن المبارك عن معمر عن رجل عن وهب بن منبه في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ قال: عشرين سنة وقال هشيم عن منصور عن زاذان عن الحسن في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ قال: أربعين سنة وقال هشيم أيضاً عن مجالد عن الشعبي عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله ـ عز وجل ـ وهذه رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يقول العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أربعون سنة هكذا رواه من هذه الوجه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ به وهذا القول هو اختيار ابن جرير ثم رواه من طريق الثوري وعبدالله بن إدريس كلاهما عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضاً لما ثبت في ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح في ذلك لأن في إسناده من يجب التثبت في أمره وقد روى أصبغ بن نباتة عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: العمر الذي عيرَّهم الله به في قوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ من تَذَكَّرَ﴾ ستون سنة...

قال الإمام أحمد (٢٢٧٥) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله تعالى إليه، لقد أعذر الله تعالى إليه»** وهكذا رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه (٦٤١٩) عن سعيد المقبري

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله ـ عز وجل ـ إلى أمرئ أخرّ عمره حتى بلغ ستين سنة» ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ..فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبدالله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت.. وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مئة وعشرون سنة فالإنسان لا يزال في ازياد إلى كمال الستين ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم كما قال الشاعر :

إذا بلغ الفتى ستين عاماً

فقد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة كما ورد بذلك الحديث عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» وهكذا رواه الترمذي (٣٥٥٠) وابن ماجة (٤٢٣٦) جميعاً في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به.. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ عاش ثلاثاً وستين سنة (خ٣٩٠٢) (٢٣٥٠) وقيل ستين وقيل خمسا وستين والمشهور الأول والله أعلم.

وقوله تعالى ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعكرمة وأبي جعفر الباقر ـ رضي الله عنه ـ وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا: يعني الشيب وقال السدي وعبدالرحمن ابن زيد أسلم: يعني به رسول الله ﷺ وقرأ ابن زيد هذا نذير من النذر الأولى وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال احتجّ عليهم بالعمر والرسل وهذا اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)﴾ أي لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل فابيتم وخالفتم وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وقال تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعمالكم فمالكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال) أ.هـ باختصار [تفسير ابن كثير ج٣ (٥٥٩ـ٥٦١)].

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤كتيبات + ٤كتيبات جيب + ٤مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة

1001641